توطئة

كانت مأساة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر صرخة إيقاظ للأمريكيين. فقد أُصِبْنَا بالرضا عن الذات في عقد التسعينيات من القرن العشرين. ذلك أنه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، لم يعد أي بلد قادراً على مضاهاتنا أو التوازن معنا. إذْ صار لدينا قوة عسكرية واقتصادية وثقافية عالمية لا يفوقها شيء. فكانت حرب الخليج في بداية ذلك العقد نصراً سهلاً؛ وعند نهايته قصفنا الصرب دون أن نخسر ضحية واحدة. ونما الاقتصاد وازدهرت سوق الأوراق المالية بسرعة. فصرنا مثل بريطانيا في ذروة مجدها في عصر فكتوريا، ولكن بامتداد عالمي أعظم من نفوذها آنذاك.

غير أن الأمريكيين كانوا غير مبالين ولا متأكدين إلى حد كبير بشأن كيفيَّة صياغة سياستهم الخارجيَّة لقيادة هذه القوة. وأظهرت استطلاعات الرأي أن الأمريكيين راحوا يركِّزون على القضايا المحلية ولا يبدون اهتماماً يُذْكَر ببقية العالم. ففيما بين سنتي 1989 و2000 راحت شبكات التلفزة تغلق مكاتبها الخارجيَّة وتخفض محتويات أخبارها الأجنبية بنسبة الثلثين. فقد اكتشف المسؤولون عن التلفزيونات أن «البالغين الشباب يهتمّون بنظام التغذية المؤدي إلى النحافة أكثر من اهتمامهم بالخفايا المعقدة لدبلوماسية الشرق الأوسط». ورأى رئيس شبكة تلفزيون MSNBC أن اللوم في ذلك يقع على «غشاوة وطنية

من ضباب المادية، وعدم الاهتمام، والميل إلىٰ الانطواء»[1]. كما أن كثيراً من الأمريكيين الذين أظهروا اهتماماً فعلياً بالسياسة الخارجيَّة قد أصابتهم قوتنا بالغطرسة، فراحوا يجادلون بأننا لسنا بحاجة إلىٰ الاهتمام بالأمم الأُخرى. فقد كنا نبدو قوة لا تقهر، وليست مكشوفة أَو معرَّضة للعطب.

ولقد تغيَّر هذا كله في 11 أيلول/ سبتمبر [2001]. وكان من الممكن التنبؤ باتجاه التغيير، إن لم يكن بتوقيته. ففي وقت مبكر من تلك السنة ورد تحذير في التقرير النهائي للجنة خاصة بالأمن القومي كان يرأسها كل من غاري هارت، ووارن ردمان، عضوي مجلس الشيوخ السابقين من أن تفوق أَمريكا العسكري لن يحمينا من هجمات معادية علىٰ وطننا: «إن من المحتمل أن يموت الأمريكيون علىٰ التراب الأمريكي، ربما بأعداد كبيرة»[2]. ولكن ذلك التقرير تمّ تجاهله إلىٰ حد كبير. وفي سنة 1997 كتبت أنا وجيمي وولزي أن أولى الأولويات في سياسة الأمن القومي ينبغي إعطاؤها للإرهاب الكارثي. ولكننا كنا نخشى أن «طبيعة المجتمع الأمريكي نفسها تجعل التهيؤ لهذه المشكلة صعباً. فنظراً «لعقلية بيرل هاربر» السائدة بيننا، فإن من غير المحتمل أن نبني دفاعاً كافياً إلىٰ أن نتعرّض للهجوم»[3].

وكان الهجوم الإرهابي من الأعراض الرهيبة للتغييرات الأعمق الآخذة

---

(1) جيم روتنبرغ، «الشبكات تتحرّك لإحياء الأخبار الأجنبية»، **النيويورك تايمز**، عدد 24 أيلول/ سبتمبر، 2001، القسم ج، ص10.

(2) غاري هارت، ووارن رودمان، الرئيسان المشتركان للجنة الأمريكية الخاصة بالأمن القومي في القرن الحادي والعشرين: **عالم جديد قادم: الأمن الأمريكي في القرن الحادي والعشرين، تقرير المرحلة الأولى** (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: اللجنة الأمريكيَّة الخاصة بالأمن القومي في القرن الحادي والعشرين، 1999)، ص4.

(3) جوزيف س. ناي الأصغر ور. جيمس وولزي، «منظور علىٰ الإرهاب»، **لوس آنجيلوس تايمز**، عدد 1 حزيران/ يونيو، 1997، القسم م، ص5.

بالحدوث في العالم. وكما سأوضح في الفصل الثاني، فإن الثورة التقنية في المعلومات والاتصالات قد أدَّت إلىٰ تشتيت القوة بعيداً عن الحكومات، ومكّنت الأفراد والجماعات من لعب أدوارٍ في السياسة الدوليَّة بما في ذلك إلحاق دمار شامل، كانت في السابق أدواراً مقتصرة علىٰ حكومات الدول. ذلك أن الخصخصة راحت تتزايد، والإرهاب هو خصخصة الحرب. وعلاوة علىٰ ذلك فإن عمليَّات العولمة راحت تقلّص المسافات. فصار للحوادث في أماكن نائية ـ مثل أفغانستان ـ تأثير أكبر علىٰ حياة الناس في أَمريكا. فالعالم آخذ في التغيّر من فترة الحرب الباردة إلىٰ عصر المعلومات المعولم، ولكن المواقف الأمريكية، حتى عهد قريب جداً، لم تكن تواكب هذا التغيّر.

فإلىٰ أين ننطلق من هنا؟ إن الأمريكيين لا يزالون يصارعون لإيجاد أفضل السُبل للجمع بين قوّتنا ومُثلنا وقِيَمنا وتقليص نقاط ضعفنا وانكشافنا. وباعتبارنا أكبر قوة في العالم، فإننا نثير في الوقت نفسه تلهفاً وكراهية بين بعض الأمم، ولا سيما في العالم الإسلامي. وكما عبَّر عن ذلك طبيبٌ وزعيمٌ دينيٌّ باكستاني: «إنكم عميان عن رؤية أي شخص آخر في ما وراء حدودكم... فأمريكا هي أكبر متنمِّر مستكبر في العالم. فهل هناك من عجب في أن كثيرين يسرهم أن يدمى أنف هذا المتنمِّر أخيراً؟»[4] وفي الوقت ذاته فإن المأساة قد أنتجت تدفقاً هائلاً للتعاطف مع الولايات المتحدة في معظم أنحاء العالم.

وهناك ما يغري بعض الأمريكيين بالاعتقاد أننا نستطيع تقليص هذه الكراهية وهذا الانكشاف للعطب إذا سحبنا قواتنا، وقلَّصنا تحالفاتنا، واتبعنا سياسة خارجيَّة أكثر انعزالاً. ولكن نزعة الانعزال لن تزيل انكشافنا. فالإرهابيون الذين سدَّدوا ضربتهم في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ليسوا مصمّمين علىٰ الانتقاص من القوة الأمريكية فحسب، بل إنهم يريدون أيضاً،

(4) أنوار الحق، مقتبساً عنه في مقالة كولن نيكرسون: «بعضهم في المنطقة يرى قصة روبن هود»، **بوسطن غلوب**، عدد 24 أيلول/ سبتمبر، 2001، ص1.

كما قال عبد الله ملك الأردن «أن يحطموا نسيج الولايات المتحدة. إنّهم عازمون علىٰ تهشيم ما تمثّله أمريكا»[5]. وحتى لو كانت لدينا سياسة خارجيَّة أضعف، فإن مثل هذه المجموعات سوف تغيظها قوة الاقتصاد الأمريكي، التي ستستمر في الوصول إلىٰ ما هو أبعد من شواطئنا بكثير. فالشركات الأمريكية والمواطنون الأمريكيون يمثّلون رأس المال العالمي، الذي هو موضع كراهية البعض.

وبالإضافة إلىٰ ذلك فإن الثقافة الشعبية الأمريكية لها امتداد عالمي بغضّ النظر عما نفعله. فليس هناك مهرب من تأثير هوليوود، ومحطة CNN والشبكة الدوليَّة (الإنترنيت). فالأفلام الأمريكية والتلفزيون فيهما تعبير عن الحرية، والنزعة الفردية، والتغيير (والجنس والعنف كذلك) وعلىٰ وجه العموم، فإن الامتداد العالمي للثقافة الأمريكيَّة يساعد علىٰ توسيع قوتنا الطرية الناعمة ـ جاذبيتنا الثقافية والعقائدية الإيديولوجية. ولكن ليس للجميع؛ إذ إن النزعة الفردية والحريات تجذب الكثير من الناس ولكنّها بغيضة لدى بعضهم، ولا سيما الأصوليين. فنزعة المساواة بين الجنسين، والانفتاح الجنسي، والخيارات الفردية في أمريكا تحدث تخريباً عميقاً في المجتمعات ذات النظام الأبوي. فقد قيل إن أحد الربابنة الإرهابيين قال إنه لا يحب الولايات المتحدة لأنها «متراخية أكثر من اللازم. فأنا أستطيع الذهاب إلىٰ أي مكان دون أن يستطيعوا إيقافي»[6]. وسيظل بعض الطغاة والأصوليين يكرهوننا دائماً بسبب قِيَمنا وانفتاحنا وفُرَصِنا. ولن يكون لنا أي خيار سوى التعامل معهم من خلال سياسات أكثر فاعلية في مكافحة الإرهاب. وليس من المحتمل أن تساعد تلك

---

(5) الملك عبد الله، مقتبساً عنه في مقالة توماس فريدمان: «الرهيب الكبير»، **النيويورك تايمز**، عدد 18 أيلول/ سبتمبر، 2001، ص31.

(6) جيم ياردلي: «استجواب موقع التدريب عن علاقاته بالخاطفين»، **النيويورك تايمز** عدد 13 أيلول/ سبتمبر، 2001، القسم ألِف، ص4.

الكتلُ الصلبةُ من الكراهية على تكوين كراهية أوسع إلاَّ إذا تخلينا عن قِيَمنا واتبعنا سياسات طغيانية مستبدّة تجعل المتطرفين يحظون بإعجاب الغالبية التي في الوسط.

فما هي السياسات التي ينبغي أن تقود قوتنا؟ وهل نستطيع الحفاظ على هذه القوة؟ لقد قُورنت الولايات المتحدة بالإمبراطورية الرومانية. ولكن حتى روما انهارت في نهاية الأمر. وقبل عقد من الزمن كان الرأي التقليدي السائد يندب أمريكا الآخذة بالانحطاط. وتصدرت قائمةَ الكتب الأكثر مبيعاً كتبٌ تصف سقوطنا. وظهرت على غلاف إحدى المجلات الشعبية صورة لتمثال الحرية وقد سالت على خده دمعة. وكانت اليابان تأكل غداءنا وتوشك على الحلول محلنا باعتبارها الدولة الأولى. وكان ذلك الرأي خاطئاً في حينه، وقد قلت ذلك. وعندما ألّفت كتابي **ملزمون بالقيادة**، سنة 1989 تنبأت باستمرار صعود القوة الأمريكيَّة. ولكن للقوة مخاطرها.

ولقد قال الرئيس جورج ووكر بوش في حملته الانتخابية: «إذا كنا أمة متغطرسة، فسينظرون إلينا على أننا كذلك. أما إذا كنا أمة متواضعة فسوف يحترموننا». وكان على حق. ولكن لسوء الحظ فإن كثيراً من الأجانب رأوا أن الولايات المتحدة في سنة 2001 لا تهتم في عجرفتها إلاَّ بالمصالح الأمريكيَّة الضيِّقة على حساب باقي أنحاء العالم. فقد رأونا نركِّز على القوَّة القاسية الصلدة لجبروتنا العسكري بدلاً من قوَّتنا الطريّة الناعمة حالما أدرنا ظهورنا لكثير من المعاهدات والمعايير ومنابر التفاوض الدوليَّة. فكانت الولايات المتحدة في نظرهم تستخدم المشاورات كي تملي على الآخرين وليس لكي تستمع إليهم. ومع ذلك فإن القيادة المؤثِّرة بحاجة إلى الحوار مع أتباعها. وسوف تكون للقيادة الأمريكيَّة ديمومة أكثر إذا استطعنا إقناع شركائنا بأننا نتحسَّس همومهم. ولقد كان أيلول/ سبتمبر سنة 2001 بداية نحو إظهار مثل هذا الإحساس. ولكنه ليس سوى البداية.

والمشكلة أكبر من ظاهرة حزبية. فقد أعلن الرئيس بوش أنّه ليس نزعاً إلىٰ التصرّف الفردي من جانب واحد. وكان الرئيس كلينتون يعرض في الأصل «توكيد النزعة المتعددة الأطراف» ولكنه تراجع فيما بعد عن جهود الأمم المتّحدة لتحقيق السَّلام. كما أنه لم يستطع متابعة كثير من مبادراته المتعددة الأطراف. وكان أحد أسباب ذلك هو انشغال الأمريكيين باهتماماتهم الداخليَّة وعدم مبالاتهم النسبية بدورنا الاستثنائي الخارق للعادة في الخارج. فكان الجمهوريُّون والديمقراطيون في الكونغرس يستجيبون علىٰ حد سواء للمصالح المحلية الخاصة، وكثيراً ما كانوا يعاملون السياسة الخارجيَّة علىٰ أنّها مجرد امتداد للسياسات المحلية. بل لقد حاول الكونغرس أن يشرّع لبقية العالم، وفرض عقوبات عندما رفض الآخرون اتباع القانون الأمريكي ـ كالعقوبات التجارية علىٰ إيران وكوبا مثلاً. ولم يكتفِ الكونغرس برفض المصادقة علىٰ أكثر من دزينة من المعاهدات والاتفاقيات علىٰ مدى العقد المنصرم، بل إنه خفض المساعدات الأجنبية، وأوقف دفع المبالغ المستحقّة للأمم المتّحدة والوكالات الدوليَّة الأُخرى. وشطب جزءاً كبيراً من نفقات وزارة الخارجيَّة، وألغى وكالة الاستعلامات الأمريكيَّة. إن علينا أن نفعل أفضل من ذلك.

ولست وحيداً في تحذيري من مخاطر سياسة خارجيَّة تجمع بين مواقف أحادية الجانب، وغطرسة، وضيق أفق. فلقد عبّر عن القلق علىٰ بقاء القوَّة الأمريكيَّة عددٌ من الأمريكيين الملتزمين بالنظرية الواقعية في العلاقات الدوليَّة. فطوال عصور التاريخ كانت تنشأ ائتلافات من بلدان للتوازن مع القوى السائدة، كما أن البحث مستمرٌّ عن دول مُتَحَدِّيةٍ جديدة. فالبعض يرى في الصين عدواً جديداً؛ بينما يتصور آخرون أن التهديد كان في ائتلاف روسي ـ صيني ـ هندي. ويرى غيرهم أن أوروبا الموحدة قد تصبح أمة ـ دولة تتحدانا وتنافسنا علىٰ المركز الأول. ولكن ـ كما سأوضح ـ فإنه رغم أن الواقعيين لديهم نقطة صحيحة، فإنّهم يركِّزون الانتباه علىٰ الهدف الخاطئ.

والحق أن التحديات الفعلية لقوّتنا تأتي متسللة كالقطط في الليل. ومن سخرية الأقدار أن رغبتنا في المضيّ وحدنا هي التي قد تضعفنا في آخر الأمر. فثورة المعلومات المعاصرة ونوعية العولمة المرافقة لها الآخذة في تقليص عالمنا. فعند بداية هذا القرن الجديد زادت هاتان القوتان من القوَّة الأمريكيَّة، بما في ذلك قدرتنا علىٰ التأثير في الآخرين عن طريق قوتنا «الطرية الناعمة» الجذَّابة. ولكن التكنولوجيا تنتقل بمرور الزمن إلىٰ بلدان وشعوب أُخرى وبذلك يتناقص تفوقنا النسبيّ. وعلىٰ سبيل المثال فإننا ـ ونحن جزء من عشرين من سكان العالم ـ نحتل أكثر من نصف الإنترنيت. ويعتقد كثيرون أن الصينية ستكون هي اللغة السائدة في الإنترنيت في غضون عقد أو عقدين من الزمن. وهي لن تزيح الإنكليزية عن عرشها كلغة مشتركة. ولكن البعض يشيرون إلىٰ أن السوق الآسيوية سوف تلوح في الأفق باعتبارها أكبر من السوق الأمريكيَّة. وإذا أخذنا أمثلة أُخرى في التجارة الدوليَّة وقضايا مكافحة الاحتكار، فسنجد أن الاتحاد الأوروبي متوازن مع القوَّة الأمريكيَّة منذ الآن، ومن المحتمل أن تزيد قوة أوروبا الاقتصادية والطرية الناعمة في السنوات المقبلة.

غير أن الأهم من ذلك هو أن ثورة المعلومات تكوِّن تجمعات وشبكات فعلية تتعدَّى الحدود الوطنية. فالشركات متعددة الجنسيات واللاعبون غير الحكوميين (بما في ذلك الإرهابيون) سيقومون بأدوار أكبر. وسيكون للكثير من هذه المنظَّمات قوَّتها الطرية الناعمة الخاصة بها عندما تجتذب مواطنينا إلىٰ ائتلافات تتجاهل الحدود الوطنية. وكما لاحظ أحد كبار الدبلوماسيين الأمريكيين، فإن المنظَّمات غير الحكومية «قوة هائلة وهامة... إذ إنها هي القوَّة الدافعة بالفعل في كثير من قضايا السياسة الأمريكيَّة، من حقوق الإنسان إلىٰ مسائل البيئة»[7]. وحسب المقاييس التقليديَّة للقوة المادية الصلدة، فإن

(7) توماس پيكرينغ، مقتبساً عنه في «مقابلة السياسة الخارجية»، في مجلة **فورين پوليسي**، عدد تموز/ يوليو ـ آب / أغسطس، 2001، ص38.

الولايات المتحدة ستظل هي الأولى بالمقارنة مع الأمم الأُخرى. غير أن المقام الأول لن يبقى كما كان عليه الحال في السَّابق.

فالعولمة ـ بصفتها تنامي الشبكات والاعتماد المتبادل على صعيد العالم كلّه ـ تضع بنوداً جديدة على جدول أعمالنا الوطني والدولي، سواء أحببنا ذلك أم لا. وكثير من هذه القضايا لا نستطيع حلّها بأنفسنا. فالاستقرار المالي الدولي حيوي لازدهار الأمريكيين ولكننا نحتاج إلى تعاون الآخرين كي نضمنه. كما أن التغيّر المناخي العالمي سيؤثّر على نوعية الحياة الأمريكيَّة. ولكننا لا نستطيع تدبّر أمر هذه المشكلة وحدنا. وفي عالم آخذة حدوده باكتساب صفة المساميّة التي ينفذ عبرها كل شيء، من المخدرات إلى الأمراض المعدية إلى الإرهاب، فإننا مرغمون على العمل مع بلدان أُخرى وراء حدودهم وداخل حدودنا. وبإعادة صياغة عنوان كتابي السابق، فإننا لسنا مرغمين على القيادة فحسب، بل إننا ملزمون بالتعاون كذلك.

كيف ينبغي أن نقود سياستنا الخارجيَّة في عصر المعلومات المعولمة؟ في المناقشات الحالية حول السياسة الخارجيَّة ينظر البعض إلى رجحان وزن قوتنا فيرى إمبراطورية حديثة. وعلى سبيل المثال، فإن الذين يسمون أنفسهم ريغانيّين محدثين يدعمون سياسة خارجيَّة من «الهيمنة الأمريكيَّة الحميدة اللطيفة». فما دامت المثل الأمريكيَّة جيدة، ولدينا القوة العسكرية، فيجب أن لا يجعلنا الآخرون نشعر بأية قيود. وهم يرون أن «على الأمريكيين أن يفهموا أن تأييدهم للتفوّق الأمريكي هو تعزيز للعدالة الدوليَّة يعادل ما يستطيع أي شعب أن يقدّمه. كما أنه نعمة للمصالح الأمريكيَّة ولما يمكن تسميته بالروح الأمريكيَّة»[8].

(8) روبرت كاغان ووليام كريستول، «الخطر الحالي»، مجلة **ذا ناشنال انترست**، ربيع سنة 2000، ص58، 64، 67.

ولكن كثيراً من الواقعيين المحافظين والليبراليين كذلك يعتقدون أن مثل هذه الآراء تفوح منها رائحة عجرفة وغطرسة كفيلتين بتنفير أصدقائنا. فقد ظل الأمريكيون يرون دائماً أن أمّتنا استثنائية. ولكن حتى إعلان استقلالنا عبّر عن «احترام نزيه لآراء الإنسانية». فإذا كنا نعمل حقاً لمصلحة الآخرين ومصلحتنا أيضاً فإن من المفروض أن نعطي الآخرين صوتاً هاماً. وأن ينتهي بنا الأمر بعد ذلك إلىٰ تبنّي نوع من تعددية الأطراف[9]. وكما يلاحظ حلفاؤنا فإنه حتى الأمريكيين ذوي النوايا الطيبة لا يملكون مناعة ضد تحذير اللورد آكتون من كون السلطة قادرة على الإفساد. وكما سنرى في الفصل الخامس، فإن تعلّم تحديد مصلحتنا الوطنية، بحيث تشمل المصالح العالمية، سيكون ذا أهمية حسّاسة لطول عمر قوتنا، وما إذا كان الآخرون سيرون هيمنتنا حميدة لطيفة أم لا.

والأمريكيون منقسمون حول كيفية صياغة علاقتهم ببقية أنحاء العالم. فعند نهاية الحرب الباردة سيطر علىٰ كثير من المراقبين هاجس عودة أمريكا إلىٰ نزعة العزلة. غير أن النقاش الدائر اليوم لا يقتصر علىٰ الانعزاليين والدوليين، بل هو يدور ضمن معسكر الدوليين، المنقسم بين نزعتي الطرف الأحادي والأطراف المتعددة. فالبعض يحثّون علىٰ تفرّد نرفض فيه تأدية دور المواطن الدولي المطيع، بل نتابع بدلاً من ذلك سعينا لتحقيق غاياتنا الخاصة بلا خجل. وهم يتحدّثون عن عالم بقطبٍ واحد بسبب قوتنا التي لا تُضَاهَى. ولكن القوة العسكرية وحدها ـ كما سنرى في الصفحات التالية ـ لا تستطيع أن تعطي النتائج المتوخاة في كثير من القضايا التي تهم الأمريكيين.

وبصفتي مساعداً سابقاً لوزير الدفاع، فإنني سأكون آخر من ينكر الأهمية المستمرة للقوة العسكرية. فدورنا العسكري جوهري للاستقرار العالمي. والرد

---

(9) روبرت و. ناكر: «القوّة الأمريكيّة ـ من أجل ماذا؟» (ندوة)، في مجلة **كومنتري** عدد كانون الثاني/ يناير، 2000، ص46.

العسكري هو جزء من ردنا على الإرهاب. ولكننا ينبغي أن لا ندع الصورة المجازية للحرب تعمينا عن حقيقة أن قمع الإرهاب سوف يستغرق سنوات من العمل الدؤوب الصبور غير البارز، بما في ذلك التعاون المدني الوثيق مع بلدان أُخرى. ففي كثير من القضايا الهامّة اليوم، مثل الاستقرار المالي الدولي، أَو تهريب المخدرات، أَو تغيُّر مناخ العالم، لا تستطيع القوة العسكرية ـ ببساطة ـ أن تنتج نجاحاً. بل إن استخدامها قد يأتي أحياناً بنتائج عكسية. وكما قال والد الرئيس بوش بعد مأساة أيلول/ سبتمبر: «تماماً مثلما أيقظت بيرل هاربر هذا البلد من فكرة أننا نستطيع ـ بطريقة مّا ـ أن نتجنّب نداء الواجب والدفاع عن الحرية في أوروبا وآسيا في الحرب العالمية الثانية، فإن هذا الهجوم المفاجئ الأخير يجب أن يزيل المفهوم السائد لدى البعض بأن أمريكا تستطيع ـ بطريقة مّا ـ أن تمضي وحدها في القتال ضد الإرهاب، بل في أي شيء آخر على الإطلاق»[10].

ولقد اتبع الرد الأمريكي المبدئي هذه النصيحة. فوافق الكونغرس فجأة على دفع المبالغ المستحقّة علينا للأمم المتّحدة، وقام بتثبيت سفيرنا فيها. وسعى الرئيس للحصول على تأييد الأمم المتّحدة، وشدّد على إقامة تحالف. أما وزارة الخزانة والبيت الأبيض، اللذان كانا قد خفضا التعاون الدولي ضد ملاذات تبييض الأموال المتهرّبة من الضرائب، فقد أصبحا داعمين للتعاون بسرعة. ولكن النزعة للتصرّف الأحادي لا تزال بعيدة عن الإلغاء. «ففي البداية، كان البنتاغون غير راغب حتى في جعل منظّمة حلف شمال الأطلسي تنفذ مادة الدفاع المشترك. وكان الحلفاء يحاولون يائسين إعطاءنا غطاءً أساسياً،

(10) باتريك تايلر وجين بيرليز: «زعماء العالم يُدْرِجُونَ شروطهم للانضمام إلى الولايات المتحدة في ائتلاف ويحثّون على التعددية»، **النيويورك تايمز**، عدد 19 أيلول/ سبتمبر، 2001، ص1.

وكان البنتاغون يقاوم ذلك. وفي آخر الأمر فهم وزير الدفاع رامسفيلد أن ذلك شيء إضافي موجب، وليس عبئاً سالباً، فاستطاع أن يتقبّله»[11]. غير أن مسؤولين آخرين كانوا يخشون أن التحالفات ستقيد الولايات المتحدة، وأن الاستناد إلىٰ سلطة الأمم المتّحدة أو حلف شمال الأطلسي قد يسجّل سابقةً سيئة. كما أن المناقشات الداخليَّة حول كيفية تنفيذ مبدأ بوش الخاص بإزالة بلاء الإرهاب أثارت هموماً مقلقة في بلدان أُخرى حول كون الولايات المتحدة هي القاضي الوحيد الذي يحكم علىٰ كون بلدٍ ما مؤيداً للإرهاب، وعلىٰ الأساليب الملائمة للرد علىٰ ذلك[12]. وفي الكونغرس، بينما كانت حليفتنا بريطانيا تصادق علىٰ معاهدة إيجاد محكمة جزاء دولية، كان السناتور جيسي هيلمز يضغط لتمرير تشريع يخوّل حكومة أمريكا «أن تتخذ أي إجراء لتحرير جنود أمريكيين تمّ تسليمهم بطريقة غير لائقة إلىٰ المحكمة، فكان ذلك نصاً أطلقت عليه بعض الوفود «مادة غزو اتفاقية لاهاي»»[13]. أمّا كم ستستمر النزعة الجديدة لتعددية الأطراف، وما هو مدى العمق الذي تصل إليه، فهذا ما يبقى سؤالاً مفتوحاً.

إن أي تراجع للتقوقع وراء تركيز سياسي تقليدي علىٰ أحادية القطب، والهيمنة، والسيادة، ونزعة الانفراد باتخاذ قرارات من جانب واحد سوف يفشل في إعطاء المحصلات والنتائج الصحيحة. كما أن الغطرسة المرافقة لهذا

---

(11) إيلين سيولينو وستيفن لي مِييَرْز، «الولايات المتحدة، تستعد للعمل وحدها وتحذّر الطالبان بأن الوقت آخذ في النفاد»، **النيويورك تايمز**، عدد 7 تشرين الأول/ أكتوبر، سنة 2001، القسم أَلِفْ، ص1.

(12) كارين دي يونغ، «الحلفاء حذرون بشأن مذهب بوش»، **الواشنطن پوست**، عدد 16 تشرين الأول/ أكتوبر، 2001، ص1.

(13) وكالة آسوشييتد پريس، «بريطانيا تصادق علىٰ معاهدة إيجاد محكمة الجنايات»، **الأنترناشنال هيرالد تريبيون**، عدد 5 تشرين الأول/ أكتوبر، 2001.

obeikandl.com

التقوقع ستؤدي إلىٰ تآكل القوة الناعمة الطرية التي هي جزء من الحل علىٰ الغالب. إن علينا أن لا ندع وهم الإمبراطورية يعمينا عن الأهمية المتزايدة لقوّتنا الطرية الناعمة.

كيف ينبغي أن نتصرّف في هذا الزمن من القوَّة والخطر اللذين لا يضاهيهما شيء؟ وهل نستطيع أن نتعلّم كيف نستخدم قوتنا القاسية الصلدة والناعمة والطرية في مزيج مثمر، ليس لدحر الإرهاب فقط، بل للتعامل أيضاً مع القضايا الأُخرى في عصر المعلومات العالمية؟ وهل نستطيع أن نستخدم قيادتنا بحكمة أثناء هذه السنوات المبكرة من القرن الجديد لبناء إطار يصمد علىٰ المدى البعيد؟ وهل نستطيع أن نروّج ونضمن قِيَمنا الأساسية من الحرية والديمقراطية؟ وهل ترتفع مواقفنا ومؤسساتنا المحلية إلىٰ مستوى التحدي؟ أم هل نبعثر ميزتنا بغطرستنا وعدم اهتمامنا؟ ولماذا نعاني مثل هذه الصعوبات في تحديد مصلحتنا الوطنية في عصر المعلومات العالمي هذا؟

كان مخططاً لهذا الكتاب في الأصل أن يكون صرخة إيقاظ للأمريكيين واقتراح بشأن كيفية استخدام قوّتنا التي لم يسبق لها مثيل. أما الآن فقد انطلق صوت النذير المنبِّه بصورة أكثر فاعلية بكثير مما يستطيع تحقيقه أي قلم. ولكننا ما نزال بحاجة إلىٰ أن نقرِّر كيف نستخدم العقود الحالية لتفوّقنا من أجل تنمية مصالحنا القومية والعالمية علىٰ المدى البعيد. وسيكون اختبارنا التاريخي هو قدرتنا علىٰ تطوير توافق في الآراء حول المبادئ والمعايير التي ستتيح لنا العمل مع الآخرين لتكوين استقرار سياسي، ونمو اقتصادي، وقِيَم ديمقراطية. فالقوَّة الأمريكيَّة ليست أبدية. فإذا بعثرنا قوّتنا الطرية الناعمة بمزيج من الغطرسة واللامبالاة، فإننا سوف نزيد من انكشافنا وتعرّضنا للعطب، ونبيع قِيَمنا بأبخس الأثمان، ونعجّل في تآكل تفوقنا.

وأريد أن أؤكّد في ختام هذه التوطئة أن لا تتم قراءة هذا الكتاب بالدرجة الأولى كردٍّ علىٰ الهجمات الإرهابية علىٰ بلدنا، رغم أن لديه بالفعل شيئاً كثيراً

يقوله عن هذا الموضوع. فاهتمامي أعمق من الهجمات الإرهابية، رغم فظاعتها. إنه في الحقيقة كتاب عن مستقبل أمريكا ـ عن كيفية زيادة ميزة القوَّة التي تنبعث من أعمق قِيَمنا، وكيفية الاستفادة منها، وكيف ينبغي علينا أن نواجه التحديات الرئيسية التي تقابلنا في عصر المعلومات العالمي!؟.

obeikandl.com